جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ / المرحلة : الثالثة

المادة : فلسفة التاريخ

عنوان المحاضرة /

المادية التاريخية وتفسير التاريخ

.....

أ م د : نعمه بحر فياض

العام الدراسي ٢٠٢٥-٢٠٢٦

تعرف المادية التاريخية: بأنها نظرية المجتمع أو نظرية التطور الاجتماعي التي انبثقت عن الفلسفة الماركسية المادية الجدلية ويعرفها بعض الباحثين بأنها علم يبحث القوانين العامة والقوى المحركة لتطور المجتمع البشري.

واستعمل الفيلسوف أنجلز مصطلح المادية التاريخية في التحليل الماركسي للحياة والمجتمع, فكان معني بالتاريخ ودراسة ماضي المجتمع البشري من حيث تاريخ ظهور الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية وأنماط تكوينيا وتطورها وتفسير حركتها وتحولاتها, فالمادية التاريخية نظرية في فلسفة التاريخ, فضلاً عن مهمتها المتعلقة بدراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية وقوانينها في دول العالم المختلفة.

وفسرت المادية التاريخية التاريخ كنظرية في فلسفة التاريخ تفسيراً ماركسياً, حركة التاريخ البشري العام إلى دوافع مادية واقتصادية, إذ ترى أن تطور المجتمعات البشرية يحمل طابعاً مادياً جدلياً عبر مختلف العصور, بمعنى أن دوافع ذلك التطور هي دوافع مادية, أما حركته فتتم وفق منهج الجدل الماركسي.

ففيما يتعمق بصفاتها المادية, ترى المادية التاريخية, أن الوجود الاجتماعي هو الذي يقرر الوعي الاجتماعي, أي الإقرار بأسبقية المادة على الوعي, فالمادة هي كل الوجود, والوجود الاجتماعي يعني الحياة المادية للمجتمع, أو نشاط الإنسان في مجال الإنتاج المادي, والعلاقات الاقتصادية بين الناس ضمن علمية الإنتاج, أما الوعي, في إطار المجتمع, فيراد به أفكار الناس وحياتهم الروحية والنظريات التي يؤمنون بها, وقد أكد ماركس وأنجلز أن الوجود الاجتماعي أمر سابق للوعي الاجتماعي, إذ أن الإنسان قبل أن ينصرف للاشتغال بالعموم والفنون والفلسفة كان عليه أن يوفر لنفسه الطعام والشراب والمأوى, وهذه الأمور لا يمكن الحصول عليها بدون العمل ، والعمل يعني إنتاج قيم مادية تعتمد بدورها على الوسائل المادية.

ويرى ماركس وأنجلز أن العلاقات الاقتصادية, أي علاقات الإنتاج وهي علاقات مادية هي العلاقات الأساسية التي تربط بين أبناء المجتمع, وأن تطور المجتمع يكون من خلال حصول نظام اقتصادي واجتماعي متقدم محل نظام قديم, فحركة التاريخ البشري شهدت تطوراً من التكوين البدائي إلى العبودية, ثم إلى المرحمة الإقطاعية, فالنظام الرأسمالي, ومنه إلى المجتمع الشيوعي فاليد العاملة الشغيلة هي مادة ذلك التطور الاجتماعي عبر التاريخ, فهم, كما يقرر ماركس وأنجلز, صانعو التاريخ الحقيقيون, إذ هم ينتجون بعملهم الثروة المادية, ويؤلف عملهم الأساس الضروري لاستمرار الحياة البشرية, على أن تفسير حركة التاريخ بالعامل الاقتصادي لا يعني بالضرورة أن المادية التاريخية, أو الفلسفة الماركسية عموماً, تتبنى أحادية هذا العامل وتأثيره في توجيه مسيرة تلك الحركة, أذ أكدا أنجلز وماركس أن دور العامل الاقتصادي بوصفه عاملا أساسياً في تفسير حركة التاريخ, ولكنهما لم يستبعدا تأثير العوامل الأخرى في هذا المجال, ومن جانب آخر ترى المادية التاريخية أن مهمتها في مجال تفسير التاريخ, تتناول قضايا مهمة في التطور التاريخي للمجتمع كالعلاقة بين الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي, وأهمية الإنتاج المادي, ومنشأ الأفكار الاجتماعية, وهي تمكن في أهمية الأدوار التي يلعبها الأفراد والمجتمعات في التاريخ, والتعرف على نشأة الطبقات والصراع الطبقي, وكيفية ظهور الدولة, وأسباب حدوث الثورات .

إن أهم سمة من سمات التاريخية تفسر على ضوئها حركة التاريخ, هي فرضيتها التي تقول: أن أسلوب الإنتاج هو دور حاسم في تطور المجتمع ومن ثم حركة التاريخ, لأن الإنتاج يرتبط بضرورات حياتية كالمأكل, والملبس والمأوى, لابد للإنسان أن يوفرها لنفسه كي يتمكن من العيش, ولذلك يجب عليه أن يعمل لإنتاجيا, ويعد العمل أساس الحياة الاجتماعية, وضرورة طبيعية للإنسان, ولا حياة للإنسان بدونه, ويصبح إنتاج الثروة المادية, التي يأتي بها العمل العامل الأساسي الحاسم في التطور الاجتماعي للمجتمعات البشرية عبر تاريخيا, أون أسلوب الإنتاج يعني:

١= قوى الإنتاج أو القوى المنتجة.

٢ = علاقات الإنتاج.

وتتألف قوى الإنتاج من:

أ- وسائل الإنتاج, وهي مواد العمل, ووسائل العمل, وهذه تعني المكائن والأجهزة والأدوات والأبنية ووسائط النقل وغيرها مما يسمى بأدوات الإنتاج أحياناً.

ب- قوى العمل أو القوى المنتجة, وتعد الطبقة العاملة العنصر الرئيس في القوى المنتجة.

أما علاقات الإنتاج, فتعني الروابط الاجتماعية التي تعقد بين أبناء المجتمع, فالإنتاج لا يتم بوجود قوى العمل أو القوى المنتجة وحدها دون وجود علاقات منظمة بين الناس يقوم على أساسها المجتمع, والعمل بحد ذاته هو نشاط اجتماعي منظم, وتستند علاقات الإنتاج على شكل الملكية لوسائل الإنتاج من أرض ومعادن وغابات ومياه ومواد أولية وأدوات عمل, فإذا كانت هذه الملكية عامة, أي أن وسائل الإنتاج تعود للعمال, فإن علاقات الإنتاج تتخذ طبيعة تعاونية بين الناس كما هو الحال في ظل المجتمع الاشتراكي, أما إذا كانت هذه الملكية ملكية خاصة, كما في النظام الرأسمالي , فإن العلاقات الاجتماعية تقوم عمى أساس التبعية والعبودية والصراع بين طبقات المجتمع.

ويمكن تلخيص حركة التاريخ العام ودوافعها على وفق ما تراه المادية التاريخية, بالقول: إن المجتمع طالما كان يضم طبقات متعددة, فإن فان هناك صراعاً يدور بين هذه الطبقات على امتلاك وسائل الإنتاج, إلا أن هذا الصراع ليس شرا, بل هو على وفق رؤى الجدل الماركسي, قوة دافعة للمجتمع ومصدرا لتطوره, ويفضي إلى خلق مجتمع أفضل , فحركة التاريخ تستمد وجودها من تلك الصراعات التي ظمت تدور في المجتمعات البشرية عبر الأزمنة, والتي تعبر

عن التناقض في الإنتاج المادي للمجتمع, وان هذا التناقض, وما يترتب عليه من صراع الطبقات المتناحرة في المجتمع يؤدي إلى حدوث ثورة اجتماعية يحل بعدها نظام اجتماعي جديد فحركة التاريخ حركة جدلية تستند إلى الفكرة والنقيض والمركب الناتج عنهما, إلا أنها تستبدل بمثالية الفكرة واقعاً مادياً اجتماعياً طبقة اجتماعية وأخرى مناقضة لها ومجتمع جديد ينشأ عن تناقض الطبقتين وصرعهما .